



ما وراء حيادهم!

٢٠ الشبهة: ما وراء دعم دول الخليج العربية لهجوم أمريكا وإسرائيل على إيران؟



الوجود الوطني للخطر. والنقطة الجديدة بالأهمية أن تقرير أسوشيتد برس يُظهر أن هذه الرغبة في الإسقاط باتت واضحة إلى حد أنها خرجت حتى من الإطار السري، وتحولت إلى لغة يتحدث بها كبار المسؤولين السعوديين والإماراتيين في حوارهم مع البيت الأبيض. فحمد بن سلمان، الذي كان يتحدث يومًا عن الحوار مع إيران، يقول الآن للمسؤولين الأمريكيين إن إضعاف القيادة الروحية لإيران يصب في مصلحة المنطقة. وهذا التحول في اللهجة علامة على أن الستار قد رُفع عن نية كانت مخفية سابقًا خلف العبارات الدبلوماسية.

وفي مثل هذه الظروف، فإن دفاع إيران الموحد، في إطار الحق الطبيعي في الدفاع أمام الائتلاف المعتدي، ليس خيارًا بل ضرورة استراتيجية. إن عدوان أمريكا وإسرائيل وحده كافٍ لتبرير الدفاع المشروع، لكن عندما يقف جيران ظلوا لسنوات يدعون الحياد أو حل الخلاف عبر الدبلوماسية، بصورة علنية، في صف المعتدين، ويريدون استمرار الحرب حتى إسقاط نظام إيران، فإن ماهية التهديد تتغير تمامًا. فإيران لا تتف أمام عملية عسكرية محدودة، بل أمام مشروع إقليمي لتغيير بنية السلطة، والدفاع أمامه هو دفاع عن السيادة، ووحدرة الأراضي، والاستقلال الوطني.

الحقيقية للائتلاف الذي تواجهه إيران. فما كان يُعرّف سابقًا بوصفه تنافسًا إقليميًا أو خلافات سياسية بين دول متجاورة، يكشف نفسه الآن بوصفه ائتلافًا معتديًا تقف على رأسه أمريكا وإسرائيل، وإلى جانبهما السعودية والإمارات بوصفهما داعمتين سياسيتين واستراتيجيتين لاستمرار الحرب، وتريدان استمرار العدوان حتى إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية. هذه الحقيقة تضع مسألة دفاع إيران في إطار مختلف تمامًا عن التنافسات الإقليمية المعتادة. فعندما تتعرض دولة لعدوان عسكري من قوى فوق إقليمية، ويدعم جيرانها أيضًا، وبصورة علنية، استمرار ذلك العدوان حتى إسقاط النظام السياسي لذلك البلد، لا يمكن بعد ذلك تعريف هذا الوضع في إطار النزاعات الدبلوماسية العادية. فهذا بالضبط مصادق للعدوان المركب، حيث يلاحق كل من الفاعل المباشر للعدوان وداعميه السياسيين هدفًا مشتركًا.

إن حق إيران في الدفاع أمام هذا العدوان ليس حقًا سياسيًا، بل حق أساسي وطبيعي. فالقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة يعترفان لجميع الدول بالدفاع المشروع أمام العدوان. لكن، أبعد من الالتزامات القانونية، حين تواجه دولة ائتلافًا يريد علنًا إسقاط نظامها، فإن أي تردد في الدفاع عن نفسها لا يعني فقدان السيادة فحسب، بل يعني أيضًا تعريض

العسكرية والقيادة الروحية لإيران بصّب في المصالح الطويلة الأمد لمنطقة الخليج الفارسي وما وراءها.

هذه الجمل تتجاوز موقفًا سياسيًا عاديًا. فعندما يتحدث ولي عهد السعودية عن «القيادة الروحية لإيران» ويقدمها هدفًا للإضعاف، فهذا يعني أن النية الأصلية ليست تغيير السلوك، بل تغيير بنية السلطة في إيران. والعبارة الواردة في التقرير، أي «تعطيل الحاكمية الروحية في إيران بشكل كامل ودائم»، تُظهر أن الهدف يتجاوز الحدّ من البرنامج الصاروخي أو النفوذ الإقليمي لإيران، وأنه مُعرّف في إطار تغيير النظام.

والنقطة الأهم أن التقرير يصريح بأن مسؤولين من السعودية والإمارات والكويت والبحرين أعلنوا في أحاديث خاصة أنهم «لا يريدون أن تنتهي العمليات العسكرية حتى تحدث تغييرات مهمة في قيادة إيران، أو يحدث تغيير ملحوظ في سلوك إيران». هذه العبارة تكشف نقطتين أساسيتين: الأولى أن هذه الدول لا تدعم عدوان أمريكا وإسرائيل فحسب، بل تريد استمراره حتى الوصول إلى النتيجة النهائية. والثانية أن تغيير سلوك إيران ليس كافيًا بالنسبة إليهم، وقد عرفوا التغيير في قيادة إيران بوصفه الهدف النهائي.

ومع انكشاف هذه النية، تتضح الصورة

لسنوات، كان مسؤولو المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة يتحدثون في خطابهم الرسمي عن الحياد تجاه إيران، ويعترفون بالخلافات في إطار التنافس الإقليمي. لكن التقرير الأخير لوكالة أسوشيتد برس كشف الستار عن نية كانت تُطرح سابقًا في المجالس الخاصة وخلف الأبواب المغلقة فقط: وهي الرغبة الصريحة في إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وهذا التقرير، الذي نُشر نقلًا عن مسؤولين أمريكيين وإسرائيليين وعرب، يُظهر أن ما كان مخفيًا سابقًا، قد أصبح الآن علنيًا بسبب الفرصة التي وفرتها الحرب. وفي مثل هذه الظروف، فإن المسألة الرئيسية هي: في مواجهة أي ائتلاف تقف إيران؟ وكيف يُبَيّن حقها الطبيعي في الدفاع أمام هذا العدوان الواضح؟

ويحظى تقرير أسوشيتد برس في هذا الجزء بأهمية حاسمة، لأنه يكشف صراحة، على لسان مسؤولين سعوديين وإماراتيين، عن رغبتهم في الإضعاف الجذري لنظام الجمهورية الإسلامية. ووفقًا لهذا التقرير، أعلن دبلوماسي من دول الخليج الفارسي أن السعودية والإمارات تتفان في الخط الأمامي للمطالبات بزيادة الضغط العسكري على طهران. كما جاء، نقلًا عن مصدر مطلع، أن محمد بن سلمان، ولي عهد السعودية، قال لمسؤولي البيت الأبيض: «إن مزيدًا من إضعاف القدرة